

التصنيف الكمي لظاهرة الهمز في العربية

أ.د. هاني صبري علي د. صالح علي الشيخ

قسم اللغة العربية / كلية التربية

جامعة الموصل

القبول

٢٠١٢ / ٠٢ / ٠١

الاستلام

٢٠١١ / ١٢ / ٢٢

Abstract

Is the phenomenon of insults phenomena linguistic task that had a big role in determining the theoretical linguistic because it involves the important institutions that contribute to the appointment as the recipient and its impact in guiding many of the Arab regimes audio and Srvia, it was to prod influential role in guiding the readings, these readings, which responded much with the echo of this phenomenon, especially to readers of the environment of Hijaz that known to the facility and the readers of the Iraqi environment such as Ibn Katheer in the Hijaz, Hasan al-Basri in Iraq, and that the phenomenon of insults importance of evolutionary study of the dialects of the tribes by standing on the development of verbal with the speaker in the Arab and the recipient of the tone to the other, thus the impact of the consolidation and the establishment of the first building block of the Dictionary of the Arab and developing Oqaysth as this research was entirely on the concept of receiving and inherently in thought the Arabic language, as the receiving modest language customary set by the language and imposed on their children claiming Alastfsah which was generated by the feeling of being biased to the language of the desert and set ranges displacement between the deviation and standard environments, Arabic taken from the tone of this phenomenon, Tamim and that all this would not have been without taking into account the common language of the parties to a message, and the receiver

الملخص

تعد ظاهرة الهمز من الظواهر اللغوية المهمة التي كان لها دور كبير في تحديد النظرية اللغوية لاشتغالها على مؤسسات مهمة تسهم في تعيين دور المتلقي وأثره في توجيه كثير من

النظم العربية صوتيا وصرفيا ، فقد كان للهمز دوره المؤثر في توجيه القراءات القرآنية ، هذه القراءات التي تجاوزت كثيرا مع صدی هذه الظاهرة ، وبخاصة لدى قرآء البيئة الحجازية التي عُرف عنها التسهيل وقرآء البيئة العراقية كابن كثير في الحجاز والحسن البصري في العراق ، ثم إن لظاهرة الهمز أهمية تطويرية في دراسة لهجات القبائل من خلال الوقوف على التطور الل فظي لدى متكلم العربية ومتلقيها من لهجة إلى أخرى ، مما أثار في ترسيخ وتأسيس اللبنة الأولى للمعجم العربي ووضع أقيسته كما أن هذا البحث جاء بكليته على مفهوم التلقي وتأصيله في الفكر اللغوي العربي، إذ إنّ التلقي تواضع لغوي عرفي وضعته اللغة وفرضته على أبنائها بدعوى الاستقصاح الذي كان يولده الشعور بالانحياز إلى لغة البادية ويحدد مديات الانحراف والانزياح بين البيئتين فالعربية الموحدة أخذت من لهجة تميم هذه الظاهرة وإن كل هذا لم يكن ليتم لولا مراعاة اللغة الموحدة لأحد أطراف الرسالة وهو المتلقي .

المقدمة

تعد ظاهرة الهمز من الظواهر اللغوية المهمة التي كان لها دور كبير في تحديد النظرية اللغوية لاشتمالها على مؤسسات مهمة تركت أثرا في المتلقي وأثرت في توجيه كثير من النظم العربية صوتيا وصرفيا ، فقد كان للهمز دوره المؤثر في توجيه القراءات القرآنية ، هذه القراءات التي تجاوزت كثيرا مع صدی هذه الظاهرة ، وبخاصة لدى قرآء البيئة الحجازية التي عُرف عنها التسهيل وقرآء البيئة العراقية كابن كثير في الحجاز والحسن البصري في العراق ، ثم إن لظاهرة الهمز أهمية تطويرية في دراسة لهجات القبائل من خلال الوقوف على التطور اللفظي لدى متكلم العربية ومتلقيها من لهجة إلى أخرى ، مما أثار في ترسيخ وتأسيس اللبنة الأولى للمعجم العربي ووضع أقيسته كما أن هذا البحث جاء بكليته على مفهوم التلقي وتأصيله في الفكر اللغوي العربي، إذ إنّ التلقي تواضع لغوي عرفي وضعته اللغة وفرضته على أبنائها بدعوى الاستقصاح الذي كان يولده الشعور بالانحياز إلى لغة البادية ويحدد مديات الانحراف والانزياح بين البيئتين فالعربية الموحدة أخذت من لهجة تميم هذه الظاهرة وإن كل هذا لم يكن ليتم لولا مراعاة اللغة الموحدة لأحد أطراف الرسالة وهو المتلقي ، وقد رأينا أن نقسّمه إلى مباحث توجيهية تتناول الظاهرة عن كثب.

المبحث الأول: وفيه الهمز تأسيسا وتأصيلا إذ حاولنا فيه إعطاء نوع من التعريف لهذه الظاهرة بوصفها واحدة من تقنات الاتصال بين المتكلم والمتلقي ، وأكدنا على العلاقة بينها وبين النبر ومناقشة الآراء في دعوى خلو اللغة العربية من النبر بوصفه مؤسسا دلاليا لبؤرة الهمز .

المبحث الثاني: عملنا فيه جاهدين كي نعطي هذا المصطلح بعده الشمولي في تجاوز مفهومه المجرد كونه ظاهرة لغوية عربية بل حاولنا أن نوصل هذه الظاهرة إلى جذورها السامية

القديمة، ثم درسنا أثر التفاعلات اللغوية بين العربية واللغات الأخرى تجديراً وتأسيساً فقد حددنا هذه الظاهرة من خلال الاحتكاك الثقافي والاجتماعي وغيره بتصنيفها كمياً بوصفها استبدالاً صوتياً تراكمياً ينطلق من اللجوء من اللاوعي إلى التكرار الكمي الذي يوزع الفكرة من حيث دلالات تكونها في سياقات الدلالة وعوارض تكوّن البنية الأولى المؤسسة من الإفرادي إلى الثنائي (بين بين) إلى التراكم المضغف إلى الالتقاء والاندماج وصولاً إلى الاكتفاء والتأسيس صوتياً في ظاهرة العنونة.

المبحث الثالث: من أجل الإلمام بهذه الظاهرة على اتساعها لتشمل ظواهر لغوية أخرى صرفية وصوتية، فقد سعينا إلى تقسيم المبحث على مظاهر فرعية اشتملت عليها فكرة التلقي:

١. تخفيف الهمز ومنه همزة (بين بين).

٢. تحقيق الهمز.

٣. التقاء الهمزتين.

٤. العنونة.

وفي الخاتمة كان تركيزنا على أهمية العلاقة بين الهمزة بوصفها فكراً تطورياً والمتلقي من حيث أن الأول يشكّل تقنية أساس من تقنيات الاتصال مهياً ذهن العربي لدى المتلقي لينسجم معه ومن ثمّ مع صور الأداء في البنية والتراكيب ، والثاني يسهم في إنضاج وعي دلالي لغوي يعد هذه الظاهرة منطلقاً فكرياً يؤسس لأولية السهل واليسر وهو قانون متطلب في الدرس اللغوي المعاصر.

لكننا عملنا جاهدين من أجل ترصين هذه الفكرة من خلال الآراء والدراسات التي تناولت هذه الظاهرة قديماً وحديثاً ، وأي سهو لازم بحثنا أو اعتضال فعذرنا فيه أننا بذرنا بذرة تعد بكرة أنبتت السعي ثمراً حلوا يستسيغهم المؤمنون بجديّة تأصيل الفكر اللغوي . والله من وراء القصد

تأسيس وتأسيس..

تروي كتب اللغة أن أحد الرواة سأل رجلاً من قريش قائلاً : أتهمز الفار ، فلم يفطن المسؤول لما أراد السائل وأجاب ساخراً : السنور يهمزها ، وقد أراد اللغوي أن يعرف ما إذا كان القرشيون يلتزمون تخفيف الهمزة في كلامهم^١ . كما ينقل صاحب اللسان رواية يؤكد فيها أن قريشاً لم تكن تهمز في كلامها ، فهؤلاء أهل المدينة ينكرون على الكسائي نبره في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالقرآن^٢ ، وقد روي عن أمير المؤمنين (رضي الله عنه) أنه قال : نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبوة ولولا أن جبرائيل (عليه السلام) نزل بالهمزة على النبي

^١ (لسان العرب . ابن منظور : ٤٢٦١٥ .

^٢ (المصدر نفسه : ١٨٩١٥ .

(صلى الله عليه وسلم) ما همزنا، والنبر بالكلام الهمز، وفي الحديث قال رجل للنبي (صلى الله عليه وسلم): يا نبي الله، فقال: لا تنبر باسمي، أي لا تنهمز، والنبر همز الحرف، والنبرة الهمزة^١. وقد قيل: "رجل نبار: فصيح الكلام، فصيح بليغ، قال ابن الأنباري: النبر عند العرب ارتفاع الصوت، يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم كلمة فيها علو^٢ فالهمز لغة "مثل الغمز والضغط ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط وقد همزت الحرف فانهمز"^٣

ويبدو أن صاحب اللسان قد سها حين لم يشر إلى العلاقة بين الهمز والضغط في مادة (ضغط) كما أنه لم يورد لفظة (نبر) في مادتي (همز) و(ضغط) ولكن حسبنا كلامه في مادة نبر عن العلاقة بين الهمز والنبر وأهم ما نقف عليه من النصوص السابقة أن الهمز = الضغط = النبر^٤.

فالنبر "هو المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب وأن كليهما يتطلب نشاطا متحدا من أعضاء النطق الرئتان، عضلات الصدر، أقصى الحنك، الشفتان، اللسان، مما يؤدي إلى تعاضم مساحة السعة في الذبذبات الصوتية"^٥ أي أن الهمز أو النبر يتطلب جهدا عضليا مضاعفا من خلال عمل تلك الأعضاء فضلا عن "حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير"^٦ وقد أشار الدكتور عبد الصبور شاهين إلى علاقة النبر بالهمز حين قال "ويجب أن نذكر هنا أن دراستنا قديما. للدكتوراه قد كشفت عن بعض القوانين التطريزية التي قام عليها نطق الفصحى وقد كان النبر الهمزي أقوى هذه القوانين وجودا في نطق الفصحاء"^٧. ولكن النبر يعني الضغط على المقاطع من جراء الجهد العضلي الذي يبذله المرء عند النطق بالمقطع المنبور، والهمز في حقيقته (ضغط) استشعره العرب من خلال النبر الحادث من التقاء الوترين الصوتيين التقاء حادا عند النطق بالهمزة^٨ فلما كان تصور القدماء دائما للنبر على أنه الضغط على الحرف وجدنا أنهم يمتنعون وجوده على الحروف ويرصدون آثاره في هيئاتها، فإذا الألف مهموزة والواو والياء كذلك وإذا بالهمزة تصبح لقبا من ألقاب الحروف الهجائية وقد كانت من قبل مجرد معنى لغوي مرادف

^١ (جمهرة اللغة. ابن دريد: ٢٩١١٢، ينظر الحديث في المستدرک علی الصحیحین، الإمام الحاکم النیسابوری : ٣ / ٣٥٨.

^٢ (لسان العرب: ١٨٨١٥.

^٣ (المصدر نفسه: ٤٢٦١٥.

^٤ (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث . د. عبد الصبور شاهين: ٢٢.

^٥ (علم الصوت الصرفي . د. عبد القادر عبد الجليل: ١١٣.

^٦ (أسباب حدوث الحروف . ابن سينا: ٧٢.

^٧ (علم الأصوات: ١٩٨.

^٨ (في البحث الصوتي عند العرب . د. خليل إبراهيم العطية: ٦٤.

للضغط أو النبر ، أي مجرد تعبير عن حالة من حالات نطق الحروف ^١ ، "وقد ذكر في اللسان فضلا عن ربطه بين الهمز والنبر أن النبر كما يعني الضغط على الحروف يعني أيضا ارتفاع الصوت بالكلام وهو تفسير يكاد ينطق بالتقسيم الحديث حين يحدد منه شكلين ، نبر التوتر ، والنبر الموسيقي ، غير أن تحديد موقع النبر في العربية الفصحى ظل مبهما ^٢ وكان لكانتينو رأي رأي يقرب من هذا حيث يقول : "يعرفون النبر بأنه الضغط على مقطع معين بزيادة العلو أو التوتر أو الحدة أو عدد من هذه العناصر معا بالنسبة إلى عناصر المقاطع المجاورة ذاتها ^٣ ، ولعل ما يؤكد ذلك ميل العربية إلى الترسل في تعبيراتها بوحدة من وسائل النبر الموسيقي لعل ذلك بدا واضحا في المحاولات الأولى لسيبويه ومن بعد للزجاج وابن جني الذي جاء عنده ذلك على سبيل التطويل والتطريح ^٤ أو ما يطلق عليه علماء اللغة أيضا (مطل الحركات) ، وقد قال ابن ابن جني : "وحكى الفراء عنهم أكلت لحما شاة ^٥ ، أراد لحم شاة فمطل الحركة فأنشأ عنها ألفا ^٥ فالعربية عرفت النبر وعبرت عنه بمسميات عدة تدل كلها على الزيادة أو الكثرة أو القوة منها مثلا الهمز ، الغلو ، الرفع ، مطل الحركات ، الارتكاز ، الاشباع ، المد ، التوتر ، التضعيف وكلها تقضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعا للسياق ^٦ والنبر ربما كان قريبا جدا من مفهوم التنغيم التنغيم الذي بدا شائعا كثيرا في دراسات المحدثين ولاسيما في موضوع الاقتران والتعليق الصوتي الصرفي كالمماثلة والإدغام والاتساق ومجالات كل ذلك في سياق القرآن الكريم ، وإن ما ذهبنا إليه يؤكد تأكيدا قاطعا على أن التنغيم أو النبر ربما كان تقنة من تقنات الاتصال التي استشعرها المشرّع الأول ضرورة في أحكام التواصل بين المتكلم والمتلقي .

وإذا اعتقد برجشتراسر "أنه لاتص نستند عليه في إجابة مسألة كيف حال العربية في هذا الشأن، يعني النبر ، ومما يتضح من اللغة نفسها ، ومن وزن شعرها أن الضغط لم يوجد فيها أو لم يكد يوجد وذلك أن اللغة الضاغطة يكثر فيها حذف الحركات غير المضغوظة ^٧ .

إن تتبع العلاقة اللغوية بين مفهوم الهمز والنبر يوقفنا على موضوع النبر في نطق العرب الفصحاء على الرغم من أن أحدا من القدماء لم يتعرض لذلك ، ولا وسيلة تعين على تحديده في نظر الدراسات الحديثة "سوى ما يمكن أن يؤخذ من نطق قراء القرآن ، وعلى الرغم من

^١ علم الأصوات: ١٩٨ .

^٢ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ١٦ .

^٣ دروس في علم أصوات العربية: ١٩٤ .

^٤ الخصائص: ٣٧٢١٢ . ٣٧٣ .

^٥ المصدر نفسه: ١٢٥١٣ .

^٦ علم الصوت الصرفي: ١١٣ .

^٧ التطور النحوي للغة العربية: ٤٦ ، وينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٦٤ .

هذا فإن ملاحظتنا عن النبر وعلاقته بالهمزة تبدو ذات أهمية بالغة حتى لنوشك ابتداءً أن نقرر أن النبر يدور مع الهمزة ، ولا شك أن النبر بالهمزة شكل من أشكال التوتر في النطق بعكس ما إذا حل محل نبر الهمزة نبر آخر للحركة التالية بإطالتها أو تليينها فالنبر حينئذٍ نبر مدة أو طول^١ ، والدكتور خليل ابراهيم العطية يرى رأياً يقرب فيه من رأي ابن الأنباري حيث يقول : "وفسر النبر بكونه ارتفاع الصوت ، يقال: نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة واحدة فيها علو"^٢ ولا مجال لتصديق برجستراسر في "العربية لم تكن تعرف النبر في مقاطع كلامها"^٣ وبين وبين أيدينا نص لابن جني مع الأسف أنه يتيم ليس ثمة غيره مع طول البحث والتتقير شاهد على وجوده حيث يقول: "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها ، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل ، وهم يريدون: ليل طويل"^٤ ، وأما إشارات ابن جني لما سمّاه بالتطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم أو قوله وتتمكن من تمطيط اللام وإطالة الصوت بهاد عليها وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه . فدلالة بارعة مدركة لظاهرتي النبر والتتخيم وإن لم يصرح بإسميهما^٥ ، أي أن ما أشار إليه ابن جني في معرض حديثه عن حذف الصفة ونحن نعلم أن حذف الصفة في العربية قليل لأن الصفة يستبان عليها من لفظها أما في هذا الموضع الذي ذكره ابن جني فيما نقله عن سيبويه فقد حذفت ودليل الحذف هو ما يفعله المرسل من زيادة في نطق الياء من (ليل)، فالإطالة دلت على طول الليل فاستغنى بذلك عن الصفة وهذا قد أوصل المتلقي إلى فهم ذلك من خلال الأداء الصوتي للمرسل فالهمز علم على مشكلة من أعقد مشكلات الأصوات العربية ويرجع ذلك إلى الاختلاف في ماهيته وفي علاقاته أعني تصور القدماء لطريقة إنتاجه وعلاقته بغيره من الحروف (المد واللين) ونظرة الدراسات الصوتية الحديثة إلى هذين الأمرين.^٦

الهمز دراسة تطورية

من الخصائص العامة المشهورة عن النطق العربي ، أن الهمز كان خاصة من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، تميم وما جاورها وأن عدم الهمز خاصة حضرية امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيها ، وقد ورد النص على

^١ (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٢٨.

^٢ (في البحث الصوتي عند العرب: ٦٥.

^٣ (التطور النحوي للغة العربية: ٤٦.

^٤ (الخصائص: ٣٧٢١٢، وينظر: في البحث الصوتي عند العرب: ٦٦.

^٥ (في البحث الصوتي عند العرب: ٦٧، وينظر: الخصائص: ٣٧٣١٢.

^٦ (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ١٧.

بعض القبائل في كلام أبي زيد: "أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون"^١، وهناك قبائل أخرى لم يشر إليها منها: كنانة وثقيف وهوازن وغيرها^٢، وتكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم في حين أن القرشيون يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى مديد، والحق أن التخلص من الهمزة لم يكن شائعا في كل القبائل الحجازية بل منها من كانوا يؤثرون تحقيقها ويدل على هذا قراءة ابن كثير الذي التزم تحقيق الهمز^٣.

إن بعض الألفاظ المهموزة في الفصحى وردت بدون الهمزة في اللهجات وهو دليل معكوس لما نريد أن نقوله هنا من أن الألفاظ غير الممهوزة كانت مهموزة في بعض اللهجات ومن أمثلة ما همزته الفصحى وألقت الهمزة اللهجة قولهم (توضأت) ففي اللهجة قالوا: توضيت^٤. وفي رواية الأصمعي وابن الأنباري أن (القرأة) وقت المرض، وأهل الحجاز يقولون (القرة) بغير همز، حذف الحجازيون همزتها المتحركة^٥، والرواية التي يسوقها صاحب الجمهرة ويتناقلها علماء علماء اللغة بشأن الأسير الذي قتل بسبب عدم فهم لهجة النبي (صلى الله عليه وسلم) في هذه الظاهرة حيث قال لهم: (أدفو) من غير همز وهو يريد (صلى الله عليه وسلم): (أدفو) من البرد فحسبه الإدفاء بمعنى القتل في لغة أهل اليمن أو جهيته^٦.

وعلى الرغم من الشكوك التي يمكن أن تثار في مثل هذا الموقف، من صحة الرواية، أو صحة السند أو تواتره لفظا وإذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهو أفصح العرب قاطبة قد خاطب الناس بلهجاتهم، ولم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم حتى بين القبائل المتباعدة عن بعضها في السكنى والجوار، إذ إن أغلب الفروق فيما يظهر كانت ترجع إلى طبيعة اختلاف الأصوات والقوالب والمفردات أو على الأقل هذه هي الفروق التي لفتت أنظار النحاة واللغويين^٧، ولا شك أن تحقيق الهمزة مما يتلاءم مع طبيعة البيئة البدوية وما يكمن في طباع أهل البادية من خشونة وجفاء، فالهمزة أشد الحروف الشديدة، فهو حرف مضغوط إذ خففنا عنه انقلب حرفا من حروف اللين أو حرفا آخر ساكنا يكون أسهل منه نطقا^٨.

^(١) لسان العرب: ٢٢١١.

^(٢) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٣٠.

^(٣) في اللهجات العربية. د. إبراهيم أنيس: ٨٦.

^(٤) دراسة في اللهجات العربية القديمة. د. داود سلوم: ١٠٣.

^(٥) الأضداد في اللغة. ابن الأنباري: ٢٣.

^(٦) ابن دريد: ٢٩١١٢، وينظر الحديث في المصنف. ابن أبي شيبة: ٢٢ / ٣٠٨.

^(٧) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. يوهان فك: ٨.

^(٨) لهجة قريش وأثرها في العربية الموحدة. علي جميل السامرائي. رسالة ماجستير: ١٠٠.

وإذا كانت القبائل تميل إلى السرعة في النطق وتلمس أيسر السبل إلى هذه السرعة خدمة للمتلقي، فإن تخفيف الهمزة كان في لسانها الخاصة التي تخفف من عيب هذه السرعة ، أي أن الناطق البدوي تعود النبر في موضع الهمزة ، أما القبائل الحضرية فعلى العكس من ذلك كانت متأنية في نطقها متندة في أدائها ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة^١.

ولما جاء الإسلام وجد تحقيق الهمزة صفة من صفات الفصاحة يلتزمها الخاصة من العرب في الأسلوب الجدي من القول ، وإن ظلت في نفس الوقت شائعة بين اللهجات التي اقتبسته اللغة النموذجية من غير البيئة الحجازية^٢.

فالهمزة - كما نعلم - حرف يصعب على اللسان التلفظ به لما فيها من الاستقال كما يفهم من كلام ابن جني : "إنما لم يجتمع الفاء والعين ، ولا العين واللام همزتين لتقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفلى في الحلق وبعد عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به تكلفا"^٣. ولهذا مالت كل اللهجات السامية إلى التخلص منها في النطق ، فليس غريبا أن يتخلص منها أيضا معظم الحجازيين، وإنما الغريب أن يحققها قراء البيئة العراقية الذين عرف عنهم الميل إلى التسهيل من إدغام وإمالة ، على أن اللهجات لا تلتزم حالة واحدة في كل صفاتها^٤ ، فليست القوانين التي تخضع لها اللهجات كالقوانين الطبيعية في الكون تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها ، بل يكفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة^٥.

والظاهر من النصوص أن الحجازيين وهذيل وأهل مكة والمدينة كانوا لا يميلون للنبر ، ولا شك أن عدم النبر من لهجات الحجاز والشمال ، ووقعت المدينة ذات الجذور اليمانية تحت تأثير اللهجة الشمالية ، أما النجديون في شرق الحجاز ومنهم بنو تميم منهم الذين كانوا ينبرون وعنهم وردت روايات كثيرة شاذة في نبر بعض الألفاظ التي نسي العرب أنها كانت نبرا أو تهمز مثل (العالم) و (الخاتم) و (النار) ولعل هذه الظاهرة في لهجة نجد متأثرة بتيار يمانى عن طريق عمان وحضرموت^٦. ويرى الدكتور عبد الحليم النجار أن "الحجازيين كانوا بسبب من أن الروم في جوارهم والتعامل معهم في رحلاتهم إلى الشام للتجارة وغيرها أخذوا عنهم التخفيف على حين ظلت تميم وقيس بنجد بمعزل عن الاختلاط الأجنبي فبقيت على التحقيق"^٧.

(^١) ينظر في اللهجات العربية: ٦٠ و ١٢٠،

(^٢) المصدر نفسه: ٧٨

(^٣) سر صناعة الإعراب: ٧١١١.

(^٤) في اللهجات العربية: ٧٧.

(^٥) المصدر نفسه: ٧٨

(^٦) دراسة في اللهجات العربية القديمة: ١٠٤.

(^٧) مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج ٢١، ج ١ مايو، ١٩٥٩ م: ١٣، نقلا عن: لهجة قريش وأثرها في

العربية الموحدة . علي جميل السامرائي . رسالة ماجستير: ١٠٨.

ومن أجل القطع في هذه الآراء جميعا نرى أنه لا بد من العودة لما قاله سيبويه : "واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها لأنه بعدَ مخرجها ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجا فتقلّ عليهم ذلك لأنه كالتهوع"^١

التصنيف الكمي للهمز

يبدو لنا من خلال الآثار المذكورة وغيرها على هذه الظاهرة ، أنه بالإمكان تصنيفها على النحو الآتي:

أولا . التخفيف:

- بأن نزيل نبرتها فتلين فحينئذ تصير إلى الألف والواو والياء على حسب حركتها أو حركة ما قبلها، ويكون ذلك على وفق الآتي:
- (١) تبدل ألفا إذا كانت ساكنة وقبلها فتحة إن أ ردنا التخفيف ، نحو: راس و باس ، في رأس وبأس وتبدل واوا إذا كان ما قبلها مضموما ، نحو: الجونة في الجؤنة ولوم في لؤم ، وإن كان ما قبلها مكسورا أصبحت ياء ، نحو: ذيب وميرة في ذئب ومئرة ، ويعلل سيبويه هذا الإبدال بقوله، انما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الح ركة التي قبلها ، لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى منها^٢.
- (٢) أما إذا كانت الهمزة مفتوحة وكان قبلها حرف مكسور فتبدل مكانها ياءً في التخفيف وذلك كقولك في المئر: مير ، وفي يريد أن يقرئك: يقرئك، وإن كان قبلها ضمة أبدلت مكانها واوا وذلك كقولك في التؤدة : تودة^٣. وإذا كانت الهمزة متحركة وكان ما قبلها حرفا ساكنا صحيحا نحو: يسأل فالطريق في تخفيفها أن نلقي حركتها على ما قبلها فتحذفها فيقال : يسأل^٤.

وحين يكون حرف المد واللين ألفا فلا يخلو الحال أن تكون حركتها فتحة أو ضمة أو كسرة وهي في هذه الأحوال الثلاثة تجعل همزة (بين بين) فإن كانت مفتوحة جعلتها بين الهمزة والألف نحو : ساءلَ، وإن كانت مضمومة جعلتها بين الهمزة والواو مثل : تساؤلَ، وإن كانت مكسورة جعلتها بين الهمزة والياء نحو : قائل^٥.

وقال ابن يعيش في تعليل ذلك "لأنه لا يمكن إلقاء حركتها إلى الألف إذ الألف لا تتحرك، ولو قلبت الهمزة ألفا، وأخذت تدغم فيها الألف على حد (معزوة) لاستحال ذلك، إذ الألف

^(١) الكتاب: ١٣ ٥٤٨.

^(٢) المصدر نفسه: ٣ ٥٤٣١.

^(٣) المصدر نفسه: ٣ ٥٤٣١.

^(٤) شرح المفصل . ابن يعيش: ١١٨١٩.

^(٥) المصدر نفسه ١١٨١٩.

لا تدغم ولا يدغم فيها ، وكان في جعلها (بين بين) ملاحظة لأمر الهمزة إذا فيها بقية منها وتخفيفها بتليينها وتسهيل نبرتها ^١ وأما إذا كانت الهمزة متحركة ومتحرك ما قبلها وأريد تخفيفها فحكمها أن تجعل (بين بين) أي بين مخرج الهمزة وبين مخرج الحرف الذي منه حركة الهمزة ، وهذا القياس في كل همزة متحركة ، فإذا كانت مفتوحة وقبلها مفتوح جعلتها متوسطة في إخراجها بين الهمزة والألف لأن الفتحة من الألف وذلك قولك في سأل : سال والمنفصل في ذلك كالمتصل نحو : قال أحمد ، إذا أردت التخفيف قلت : قال احمد ، ولا يظهر سر هذه الهمزة ولا ينكشف حالها إلا بالمشافهة ، وإن كان قبلها ضمة أو كسرة فإنك تبدلها مع الضم واوا ومع الكسر ياءً وذلك قولك في تخفيف جؤن جمع جؤنة : جون ، ونقول في المنفصل : هذا غلامو بيك بالواو أيضا ، ونقول مع الكسرة (مير) بتخفيف مئر وهو جمع مئرة وفي المنفصل : مررت بغلامي بيك .^٢ وهناك سبب آخر لحدوث هذا الإبدال هو كون الهمزة صوتاً شديداً والنطق بها يحتاج إلى جهد عضلي وتيسير هذا المجهود يبدل صوت الهمزة بأحد الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً وهي أصوات المد واللين وقد شبه هذا الالب دال بين الهمزة وهذه الأصوات بظاهرة المخالفة الصوتية التي ينقلب فيها أحد الصوتين المتماثلين إلى صوت آخر كأصوات اللين وأشباهاها ^٣.

ولو جعلتها (بين بين) وقبلها ضمة أو كسرة لنحوت بها نحو الألف والألف لا يكون ما قبلها مضموماً أو مكسوراً بل ذلك محال ، فلذلك عدلوا إلى القلب وإذا كانت مكسورة وما قبلها متحرك وأريد تخفيفها جعلت بين بين سواء كانت الحركة فتحة أو ضمة أو كسرة ، فنقول فيما كان قبلها فتحة: سيم في تخفيف سئم و : بيس في تخفيف يئس وفي المنفصل : وإذ قال يبراهيم وذلك لأنه مكسورة تقربها في التخفيف من الياء ، كما كانت مع الفتحة بين الألف والهمزة والياء مما يسلم بعد الفتحة المحضة.^٤

فإن كانت الهمزة المتحركة مضمومة وما قبلها متحرك فأمرها كذلك في التخفيف وذلك أن تجعلها (بين بين) وذلك بأن تضعف صوتها ولا تتمه فتقرب حينئذ من الواو الساكنة سواء كان ما قبلها مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً ، هذا مذهب سيبويه قال هو كلام العرب ، وذلك قولك فيما كان قبلها فتحة : لؤم ، وأكرمت عبد وخته وفيما إذا كان قبلها ضمة قولك : (مؤون) و (رؤوس) نحو: يستهزئون، ومن عبد أختك، كل ذلك تجعله بين بين عند سيبويه^٥. وشرط تخفيف تخفيف الهمزة ، ولا يريد بكونها مبتدأ بها أن تكون في ابتداء الكلمة بالحذف في نحو (قد أفلح) والقلب في (الهدى اتنا) ونحوه، بل المراد أن تكون في ابتداء الكلام لأن المبتدأ به خفيف :

^١ المصدر نفسه ١١٨١٩.

^٢ المصدر نفسه: ١٠٩١٩.

^٣ ينظر القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : مي فاضل الجبوري : ٤٧.

^٤ شرح المفصل: ١١٢١٩.

^٥ المصدر نفسه ١١٢١٩ ، وينظر: الكتاب: ١٣ ٥٥١.

إذ الثقل يكون في الآخر، على أنه قد قلبت الهمزة في بعض المواضع في الابتداء هاء ،
كهرجت، وهرقت، وهياك ولكن ذلك قلب شاذ^١.

وقوم من العرب يبدلون من هذه الهمزات التي تكون بين بين (حروف اللين) يبدلون من
المفتوحة المفتوح ما قبلها ألفاً فيقولون في سأل : سال، وفي قرأ: قرا، وفي منسأة: منساء، ومن
المضمومة المضموم ما قبلها واواً، ومن المكسورة المكسور ما قبلها ياءً ، وذلك شاذ ليس بمطرد ،
قال سيبيويه: وليس بقياس متلئب وإنما هو بمنزلة أتلتج في أولجت ولا يقاس عليه فيقال في
أوغلت: أتغلت وإنما باب ذلك الشعر ضرورة، وأنشد الفرزدق^٢:

راجت بسلمة البغال عشية فأرعي فزارة لاهناك المرتع

الشاهد فيه قلب هذه الهمزة ألفاً والقياس (بين بين) ولكنه لما لم يتزن له البيت بحرف
متحرك أبدل منها الألف ضرورة ، وهذا أحد ما يدل على أن همزة (بين بين) متحركة وليست
ساكنة كما زعم الكوفيون^٣.

فالهمزة (بين بين) هي في رأي القدماء صوت ساكن ولكنه ضعيف غير متمكن وهي
برغم هذا واقعة موقع المخففة، وهي ميزتها، ويطلقون عليها أيضا السهلة واللين، والمقصود دائماً
تخفيف نطقها^٤.

وقال سيبيويه : "وقد قرأ الذين يخففون ((أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْ فِي
السَّمَاوَاتِ))^٥، حدثنا بذلك عيسى ، وإنما حذف الهمزة ههنا لأنك لم ترد أن تتم وأردت إخفاء
الصوت فلم ليلتقي ساكن وحرف ، هذه قصته كما لم يكن ليلتقي ساكنان^٦ ، وقد أثبت الدكتور
عبد الصبور شاهين أثناء دراسته للماجستير ببعض التجارب العملية على جهاز (سيكتروجراف)
أن (بين بين) ليس في الواقع سوى حركة^٧. ويؤكد الدكتور إبراهيم أنيس هذه الحقيقة عندما يقول :
يقول: "أما التكييف الصوتي لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً ، وإذا
صح النطق الذي سمعته من أفواه المعاصرين من القراء تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة
من الكلام تاركة وراءها ، والذي تسمعه حينئذ لا يمت إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين
قصير يسمى عادة حركة الهمزة من فتحة أو ضمة أو كسرة"^٨.

^(١) شرح شافية ابن الحاجب .رضي الدين الاسترأبادي: ٣٠١٣.

^(٢) ديوانه: ٤٠٨ ١١.

^(٣) شرح المفصل: ١١٣٩، وينظر: الكتاب: ١٣ ٥٥٤.

^(٤) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ١٠٥.

^(٥) النمل: ٢٥.

^(٦) الكتاب: ١٣ ٥٤٥.

^(٧) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ١٠٥.

^(٨) الأصوات اللغوية: ٧٣.

ثانياً: تحقيق الهمز:

التحقيق هو "إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمز وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات، وتوفية الغنات، وتفكيك الحروف"^١، وقد مال التميميون إلى تحقيق الهمزة في كثير من الألفاظ التي كانت على وزن (فعل) إذا كان في موضع العين من الفعل ألفه ساكنة ما قبلها مفتوح نحو: رأس، وفأس، وكأس في راس، وفاس، وكاس، أو ياء ساكنة ما قبلها مكسور نحو: ذئب، وبئر في ذيب وبير، أو واو ساكنة ما قبلها مضموم نحو: شؤم، ولؤم في شوم ولوم^٢. وهذا يعني تحقيق الهمز لا يكون إلا في حركات المد الطويلة، أما ما جاء في الواو المتحركة أو الياء المتحركة فليس من قبيل تحقيق الهمز وإنما هو إبدال^٣. ومن العرب من يذهب يذهب في التحقيق مذهباً بعيداً فيبدل الألف والواو والياء همزة وهم بنو أسد وعقيل، بل وردت أحرف منه في قراءة ابن كثير قارئ مكة^٤. كما أن تحقيق الهمز في فعل ليس متلئباً، وإنما يحفظ يحفظ عن العرب^٥. ذلك أننا قد نجد ألفاظاً من هذا القبيل غير مهموز كقولهم: ثوم مثلاً ثم نجد أن هذا الهمز تعدى إلى غير فعل هذه، إذ إن التميميين يقولون: منسأة ومئشار وجؤنة في منساة وميشار وجونة، ولعل ما يسوغ هذا الهمز أنه جاء في الألف الساكنة التي قبلها مفتوح كما في منساة أو في الياء الساكنة التي ما قبلها مكسور كما في: ميشار أو في الواو الساكنة التي قبلها مضموم كما في: جونة^٦ ثم نجد تميماً تبالغ في تحقيق الهمز أحياناً، فقد ورد في كتب اللغة أن رؤية كان يهمز السدوة وسنة القوس والعرب لا تهمزها وروي أيضاً أن العجاج كان يهمز العالم والخاتم فيقول: العالم والخاتم، وحكى اللحياني عنهم: البأز بالهمزة، وهذا أيضاً من ذلك الباب^٧. فمما ورد في قراءة الحسن البصري من هذا الباب: ((وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا))^٨، بالهمزة في الربا، الربا، وقراءة الناس: الربا بالألف المقصورة، وقرأ: ((قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأَكُمْ بِهِ))^٩، وبها قرأ بها ابن عباس وابن سيرين وابن رجاء^{١٠}. قال الفراء: "ولعل الحسن ذهب إلى طبيعته وفصاحته فهمزها، لأنها تتضارع، درأت المد وشبهه، وربما غلطت العرب في الحرف إذا

^١ (النشر في القراءات العشر: ابن الجزري: ١١ ٢٣١).

^٢ (ينظر: جمهرة اللغة. ابن دريد: ٢٩٣١٣، والمخصص. ابن سيده: ٦٣١١٤).

^٣ (لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة. غالب فاضل المطلب: ٨٣).

^٤ (الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري. د. صاحب أبو جناح: ١٤٦).

^٥ (شرح شافية ابن الحاجب: ٤٧١٣، وينظر الكتاب: ١٣ ٥٥٤).

^٦ (لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: ٨٤).

^٧ (سر صناعة الإعراب. ابن جني: ٩٠١١).

^٨ (البقرة: ٢٧٨).

^٩ (يونس: ١٦).

^{١٠} (الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: ١٤٦).

ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز^١، والفراء يشير هنا إلى ما يسمى بنزعة التقاصح
التفصيح التي يفسريها بعض الباحثين طائفة من الظواهر اللغوية عند الناطقين بالعربية وبغيرها
من اللغات محاكاة لما يظنونه الأداء الفصيح في اللغة^٢.

وثمة ضرب آخر من المبالغة في تحقيق الهمز فرارا من التقاء الساكنين وهما في الحقيقة
صائت طويل كالألف وصوت صامت ساكن، فقد قرئ ((وَلَا الضَّالِّينَ))^٣، وقيل في دابة وشابة:
دأبة وشأبة، وقال أبو زيد: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ ((فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا
جَانٌ))، ومثله قول كثير عزة^٤:

وأنت ابن ليلي خير قومك مشهدا إذا ما احمرت بالعبيط العوامل
بيد أن كتب اللغة لم تعز هذه المبالغة إلى تميم عامة وإنما ورد ذلك على ألسنة رجال منهم^٥.

ثالثاً: التقاء الهمزتين

الهمزة: حرف مستقل لأنه بُعد مخرجه، إذا كانت نبرة في الصدر تخرج با جتهاد فتقل
عليهم إخراجها لأنه كالتهوع، ولذلك مال أهل الحجاز إلى تخفيفها، وإذا كان ذلك في الهمزة
الواحدة، فإذا اجتمع همزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف "فإذا كانتا في كلمة واحدة كان الثقل أبلغ
ووجب إبدال الثانية حرف لين^٦، كقولهم في آدم: آدم، وفي أئمة: أئمة، وفي أيدهم: أيدهم، وقد
وقد سمع أبو زيد من يقول: اللهم اغفر خطائئي، قال همزها أبو السمخ ورداد ابن عمه، وهو شاذ
في القراءة الكوفية أئمة قرأ بها عاصم وحمة والكسائي من أهل الكوفة وقرأ بها من أهل الشام
ابن عامر اليحصبي^٧.

وإذا التقت الهمزتان وكانتا كل واحدة منهما في كلمة فإن أهل الحجاز ذهبوا إلى
تخفيفهما معاً على قياس تخفيف كل واحدة منهما لو انفردت من ذلك أنهم يقلبون الأولى ألفاً
لأنها ساكنة وقبلها فتحة في: (اقرأ آية) ويجعلون الثانية (بين بين) ويقلبون الأولى ياءً لسكونها
وانكسار ما قبلها ثم يلقون حركة الثانية على ا لياء وتسقط الثانية في: (أقريء أباك السلام)
فيقولون اقري باك السلام بلهجتهم لأنهم يخففونها^٨. ثم إذا التقت همزتان في كلمتين منفصلتين

^(١) معاني القرآن: ٤٥٩ ١١.

^(٢) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: ١٤٧.

^(٣) الفاتحة: ٧.

^(٤) ديوانه: ٢٩٤.

^(٥) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: ٨٦.

^(٦) شرح المفصل: ٩ ١١٢١.

^(٧) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ١١٢.

^(٨) الكتاب: ٣ ٥٥٠١، وينظر شرح المفصل: ١١٨١٩.

فإن أهل التخفيف يخففون إحداهما ويستثقلون تحقيقها كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة إذ ليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتتحققا إلا إذا كانا عينا مضاعفة نحو: رأس^١. وإذا كانت الهمزتان في كلمة واحدة والهمزة الأولى همزة استفهام فأهل الحجاز يدخلون ألفاً بين الهمزتين ، قال سيبويه: "وأما أهل الحجاز فمنهم من يقول : آئك وآنت ، وذلك لأنهم يخففون الهمزة كما يخفف بنو تميم في اجتماع الهمزتين فكهوا التقاء الهمزة والذي هو (بين بين) فأدخلوا الألف كما أدخلته بنو تميم في التحقيق"^٢.

وللتخفيف طريقتان ، فمنهم من يخفف الأولى ويحقق الآخرة وهو قول أبي عمرو واستدل على ذلك بقوله تعالى ((فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا))^٣ ، و ((يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ))^٤ ، ومنهم من يحقق الأولى الأولى ويخفف الثانية ، قال سيبويه: سمعنا ذلك من العرب وقرأ ((فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا)) ، و ((يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ)) يخفف الهمزة الثانية ويجعلها (بين بين) ، وتحقيقهما جائز لأنهما منفصلتان في التقدير ، وأهل الحجاز يخففون الهمزتين معاً^٥. وقال سيبويه: ومن العرب ناس يدخلون بين ألف الاستفهام وبين الهمزة ألفاً وذلك لأنهم كرهوا التقاء همزتين ففصلوا بينهما بألف ، وقد قرأ ابن عامر: ((أَنْذَرْتَهُمْ))^٦ ، ((أَلَيْكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ))^٧ ، ثم بعد طول ألف الفصل منهم من يحقق الهمزتين وهم بنو تميم ، ومنهم من يخفف الثانية وهم أهل الحجاز وهو اختيار أبي عمرو وروى سيبويه روى أن منهم من يقول : إن بني تميم الذين يدخلون بين الهمزة وألف الاستفهام ألفاً كما ذكر أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريء وذلك قليل رديء^٨.

وينقل صاحب اللسان عن الفراء قوله: "وأهل مكة يخالفون غيرهم من العرب يهمزون البريء والنبي والذرية"^٩.

وقد تعني هذه النصوص مخالفة لطبيعة لهجتهم التي عرفت التسهيل والتي تصور مثل هذه الظاهرة التي تبدو غريبة ، يجب أن نعترف بأن اللهجات لا تلتزم دائماً حالة واحدة في كل صفاتها، ونستطيع أن نفسر هذا بالقول ربما كانت القبائل الحجازية التي تنجح إلى التحقيق ، هي

^١ (شرح المفصل: ١١٨٩.

^٢ (الكتاب: ٥٥١٣.

^٣ (محمد: ١٨.

^٤ (مريم: ٧.

^٥ (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ١٠٢ ، وينظر: الكتاب: ٣ ٥٤٨١.

^٦ (البقرة: ٦.

^٧ (يوسف: ٩٠.

^٨ (الكتاب: ٣ ٥٥١١ ، وينظر: المخصص: ١٤١٤.

^٩ (ابن منظور: ٢٢١١.

من القبائل التي كانت تسكن أطراف الحجاز المجاورة لأهل البادية والذين عرفوا بالتحقيق ، أو أن نفرض احتمالاً آخر وهو أن عامل المحاكاة قد لعب دوراً في انتشار هذه الظاهرة بين أهل مكة كما كان يفعل ابن كثير الذي التزم التحقيق^١.

رابعاً: العننة

إن أهم مظاهر المبالغة في تحقيق الهمز في لهجة تميم هي العننة ، وهي إبدال العين من الهمزة، "وعننة بني تميم: إبدالهم الهمزة عيناً كما قال ذو الرمة^٢:

أَعْنُ تَوَسَّمتْ مِنْ خَرَقَاءِ مَنْزِلَةً ماءُ الصَّبابةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ

وقال جبران العود^٣:

فَمَا أَبْنُ حَتَّى قُلْنَ يَا لَيْتَ عَنَّا ترابٌ وَعَنْ الْأَرْضِ بِالنَّاسِ تَخَسَفُ

وقال الفراء: لغة قريش ومن جاورهم (أَنَّ) وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون أَلَفَ أَنَّ إذا كانت مفتوحة عيناً ، يقولون: أشهد عَنكَ رسول الله ، فإذا كسروا رجعوا إلى الألف ، قال: العرب تقول: لأنك تقول ذاك ، ولعَنكَ تقول ذاك ، ومعناها لعَلَّكَ^٤. والذي يبدو أن الفراء هنا قد وسَّع هذه اللهجة ليجعلها لغة كثير من العرب إلا أنه يقصرها بحالة واحدة وهو أن تكون الهمزة مفتوحة، كما أنه لم يعلل هذه الظاهرة إلا "أن ابن الأثير يقرب م ن الصحة عندما يعلل قلبهم الهمزة تعليلاً صوتياً فيقول كأنهم يفعلونه لبجح في أصواتهم ، وهو تعليل أقرب إلى الصواب إذ إن هذه الظاهرة الصوتية مقصورة على القبائل الضاربة في البداوة فكأنهم يبحثون عن صوت أكثر نضاعة وأقرب جرساً ، والعين هو المتصف بهذه الصفة ، في حين لم نجد مثل هذا الإبدال في الحجاز وما جاورها لتحضرها وتمدنها"^٥.

إن الذين بالغوا من أهل البادية في تحقيق الهمز ، أي في النبر تحولت الهمزة في ألفاظهم عيناً ، في مواقع معينة ، من ذلك ما نسب إلى تميم وقيس عيلان مما أطلق عليه اسم العننة، وهو قلب الهمزة التي يبتدأ بها عيناً ، فضلاً عن ذلك فهناك من تجاوزها إلى قلب الهمزة الهمزة المتوسطة عينا كما في لهجة سكان البوادي في مصر والعراق أيضاً فيقال : أسعل في:

^١ لهجة قريش وأثرها في العربية الموحدة . علي جميل السامرائي: ١٠٨.

^٢ ديوانه: ٦٥١.

^٣ ديوانه: ٦٣.

^٤ تهذيب اللغة . الأزهرى: ٨٣١١.

^٥ مباحث في علم اللغة واللسانيات . د. رشيد العبيدي: ٣٣٩.

^٦ القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٣١.

أسأل^١. والواضح أن هذه العنونة ليست بمطرودة في كل همزة ويؤكد هذا أن تميماً تحقق الهمزة في ألفاظ كثيرة من غير أن تضطر إلى المبالغة في تحقيقها حتى تقلبها عينا ، بل تكاد العنونة تنحصر في بعض الألفاظ وليس كلها^٢ ، ويعلق الدكتور إبراهيم أنيس على تلك الروايات التي تتحدث عن هذا القلب بأنها جميعاً تجمع على قلب الهمزة المبدوء بها إلى عين ، ثم قيد هذا في رواية الفراء بأن تكون الهمزة مفتوحة ، وأن هذا الاضطراب في الرواية ناشئ عن نقص استقرار الرواة لأمثلة الظاهرة الصوتية ، والأقرب في الاحتمال أن هذه القبائل وكلها من البدو كانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة في السمع^٣ ، لأننا نجد ألفاظاً غير التي أوردتها كتب اللغة في قلب الهمزة عينا ، فهل أن هذه الألفاظ تعد من الألفاظ التي اشتملتها هذه الظاهرة ، ومن ذلك ما قاله الخليل من أن "الخب: الخبء في لغة تميم يجعلون بدل الهمزة عينا"^٤ ، وعن ابن دريد: "وخب الرجل في المكان ، إذا دخل فيه . وأحسب أن العين همزة لأن بني تميم يخفون الهمزة فيجعلونها عينا فيقولون: هذا خباعنا، يريدون: خباؤنا. ويقولون فعلت كذا وكذا عن فعلت كذا وكذا ، يريدون: أن فعلت"^٥.

ويحسن إذن أن نعد هذه الظاهرة محاولة للجهر بالصوت ، لأن الهمزة ليست من الأصوات المجهورة أو المهموسة ، إذ مخرجها المزمار نفسه ولاعمل للوترين الصوتيين معها ، وقد وصفت بانها من الأصوات الشديدة إن لم تكن أشدها ، وأن أهل البادية الذين يحققونها قد يبالغون في هذا التحقيق لتكون أوضح في السمع فتستبدل بأحد الأصوات الحلقية القريبة منها مخرجاً وصفة وأقرب هذه الأصوات لها هو العين ، لأنه صوت مجهور كما أنه أقربها مخرجاً للهمزة^٦. ونحن نرى أن ظاهرة العنونة لم تحدث إلا في مواضع النبر لدى هذه القبائل مكونة من مقطع واحد يقع عليه ، بذلك يمكن أن نعد العنونة من آخر مراحل التطور التي مرت بها الهمزة لتتحول من شكلها الأدائي إلى شكل آخر يخرج الصوت من صفته المعروفة إلى صفة أخرى أهم أنماطها أنها تصوغ الهمزة على نحو تراكمي بجعلها قريبة من العين ، وهو صوت حلقي يمكن أن يخرج الهمزة من صفة (التهوؤ) المترتبة فيها صفة أخرى أكثر سلاسة وقوة الأداء بجعل المتلقي يميل حتى ينسجم مع طلاقة العين المنغمسة في التناقل والتكرار .

^١ (فقه اللغة . د. عبد الحسين المبارك: ٥٣.

^٢ (لهجة قریش وأثرها في العربية الموحدة: ٨٩.

^٣ (في اللهجات العربية: ١١٠.

^٤ (العين: ١٤١١.

^٥ (جمهرة اللغة: ٢٣٧ ١١.

^٦ (في اللهجات العربية: ١١٠.

الخاتمة

إن النبر هو المكافئ الاصطلاحي للهمز عند العرب وأن كليهما يتطلب نشاطا متحدا من أعضاء النطق الرئتان ، عضلات الصدر ، أقصى الحنك ، الشفتان ، اللسان ، مما يؤدي إلى تعاضد مساحة السعة في الذبذبات الصوتية أي أن الهمز أو النبر يتطلب جهدا عضليا مضاعفا من خلال عمل تلك الأعضاء فضلا عن حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير .
والنتيجه أو النبر ربما كان تقنة من تقنات الاتصال التي استشعرها المشرع الأول ضرورة بين أحكام التواصل بين المتكلم والمتلقي .

ووجدنا الهمز خاصة من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها قبائل وسط الجزيرة وشرقيها ، تميم وما جاورها وأن عدم الهمز خاصة حض رية امتازت بها لهجة القبائل في شمال الجزيرة وغربيها ، أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينفرون والحق أن التخلص من الهمزة لم يكن شائعا في كل القبائل الحجازية بل منها من كانوا يؤثرون تحقيقها .
وتمثل العنقنة آخر مراحل التطور التي مرت بها الهمزة لتتحول من شكل ها الأدائي إلى شكل آخر يخرج الصوت من صفته المعروفة إلى صفة أخرى أهم أنماطها أنها تصوغ الهمزة على نحو تراكمي يجعلها قريبة من العين .

المصادر والمراجع

- (١) أسباب حدوث الحروف . أبو علي الحسين بن سينا ، نسخه وصححه ووقف على طبعه : محب الدين الخطيب ، مطبعة المؤيد ، ١٩١٤ م .
- (٢) الأصوات اللغوية . د. إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٥ ، ١٩٧٥ م .
- (٣) الأضداد في اللغة . ابن الأنباري ، المكتبة الحسينية ، القاهرة ، كفر الطماعين ، د.ت .
- (٤) تهذيب اللغة . أبو منصور الأزهري ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .
- (٥) جمهرة اللغة . ابن دريد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، د.ت .
- (٦) الخصائص . صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ٤ ، ١٩٩٠ م .
- (٧) دراسة في اللهجات العربية القديمة . د . داؤد سلوم ، مكتبة النهضة العربية ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .

- (٨) دروس في أصوات العربية . جان كانتينو ، ترجمة صالح القرمادي ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، الجامعة التونسية، ١٩٦٦م.
- (٩) ديوان جران العود النميري ، صنعة أبي جعفر محمد بن حبيب ، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق وتذييل الدكتور نوري حمودي القيسي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية، ط١، ١٩٨٢م.
- (١٠) ديوان ذي الرمة، تحقيق مطيع ببيلي ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت ، ط٢، ١٩٦٤م.
- (١١) ديوان الفرزدق، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- (١٢) ديوان كثير عزة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٧١م.
- (١٣) سر صناعة الإعراب . أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق د. حسن هندائي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.
- (١٤) شرح المفصل : موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي ، إدارة الطباعة المنيرية ، د.ت.
- (١٥) شرح شافية ابن الحاجب . رضي الدين الاسترأبادي ، تحقيق د. محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، د. ت.
- (١٦) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري . د . صاحب أبو جناح ، منشورات جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج، ١٩٨٥م.
- (١٧) العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب . يوهان فك ، ترجمة عبد الحليم النجار ، القاهرة، ١٩٥١م.
- (١٨) علم الأصوات . د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، ١٩٨٥م.
- (١٩) علم الصوت الصرفي . د . عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان، ط١، ٢٠١٠م.
- (٢٠) العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الله درويش، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٩٦٧م.
- (٢١) فقه اللغة . د. عبد الحسين المبارك، مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٦م.
- (٢٢) في البحث الصوتي عند العرب . د . خيل إبراهيم العطية ، الموسوعة الصغيرة ، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣م.
- (٢٣) في اللهجات العربية - د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٧٢م.

- (٢٤) القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث - مي فاضل الجبوري، دار الشؤون الثقافية العامة، سلسلة رسائل جامعية، بغداد، ٢٠٠٠ م.
- (٢٥) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.
- (٢٦) الكتاب: سيوييه أبو بشر عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٤ م.
- (٢٧) لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٩٥٦ م.
- (٢٨) لهجة قریش وأثرها في العربية الموحدة. علي جميل السامرائي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد.
- (٢٩) مباحث في علم اللغة واللسانيات. د. رشيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٢ م.
- (٣٠) المخصص. ابن سيده، لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، د. ت.
- (٣١) المستدرك على الصحيحين. الإمام الحاكم النيسابوري، بإشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت. لبنان، د. ت.
- (٣٢) المصنف. ابن أبي شيبة، ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت. لبنان، د. ت.
- (٣٣) النشر في القراءات العشر. ابن الجزري، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د. ت.